الفصل الثاني

بحوث اجتماعية

١ — عيد الجلوس الملكي في تاريخ مصر الفرعونية

٢ — ما أسدته مصر القديمة للعالم الحديث

٣ — الطب عند قدماء المصريين

٤ — الموسيقى عند قدماء المصريين

٥ — النسيج عند قدماء المصريين

٦ — مركز المرأة في مصر القديمة

obeikandl.com

obeikandl.com

عيد الجلوس الملكي

في تاريخ مصر الفرعونية

كانت حفلات التتويج في مصر الفرعونية تتبع نظاماً خاصًّا يكاد أن يكون هو نفس النظام المتبع في الدول الحديثة . وقد ترك لنا التاريخ وصفاً رائعاً لحفلات تتويج الملك رمسيس الثاني الذي كان من أقرب ملوك الفراعنة الى قلوب أبناء وادي النيل .

بنى الملك رمسيس الثاني ، الذي حكم وادي النيل من سنة ١٢٩١ الى سنة ١٢٢٤ تقريباً قبل الميلاد معبداً كبيراً في الجهة الغربية من طيبة (الأقصر حالياً) هو معبد الرمسيوم ، ووصف على إحدى جدرانه مناظر ونصوص تتويجه التي كانت تسير على النهج الآتي :

أولاً : تلاوة صلاة خاصة .

ثانياً : رش مياه الطهارة والحياة المقدسة على الملك .

ثالثاً : اعلان ألقاب الملك الرسمية .

رابعاً : اعلان اختياره وتقديمه لرجال البلاط .

خامساً : ارسال الخبر الى حاكم السودان العام .

سادساً : اطلاق أربع حمامات تحمل كل حمامة رسالة في عنقها فيها خبر تتويج الملك الى الجهات الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية .

ثم يلي ذلك احتفال عظيم يطلقون عليه اسم « الشروق » لأن الملك رمسيس يشرق عليه أمام شعبه كما يتجلى الاله الشمس رع أو كما تطلع عليهم شمسه المشرقة .

ثم يلي هذا ظهور الملك على رأس موكب عظيم يضم كهنة يحملون تماثيل من ملوك مصر : وعلى رأسهم تماثيل ملوك مينا ، ونب ـ حبت ـ رع ـ ، واحمس الأول . وهم واقفون

أساس عصر وحدة وادي النيل الأولى والثانية والثالثة كما سبق الاشارة اليها .

وهذا يدل على أن قدماء المصريين قد أدركوا ان كلاً من هؤلاء الملوك الثلاثة يبدأ عصراً تاريخيًّا هامًّا وفترة قائمة بذاتها لها خصائصها ومميزاتها ، فان كل حالة من هذه الحالات الثلاث تبدأ عند بدء اتحاد مصر والتفاف شعب وادي النيل حول عرش ملك مصر

ولقد كانت حفلة تتويج رمسيس الثاني ذات أهمية تاريخية لأنها الى جانب كونها احتفالاً بذكرى ارتقاء الملك عرش مصر فهي ذكرى لقيام وحدة وادي النيل تحت تاج ملك مصر في عصور مصر الزاهرة المختلفة .

وكان يدعى الى هذه الحفلة الأمراء وكبار الموظفين ورجال البلاط ومن اليهم ليشتركوا في الاحتفال وليروا الملك الجديد .

وبعد ذلك يتقبل الملك التهانىء من رجال بلاطه وحاشيته ومن كان غائباً يرسل تهانيه بالرسائل كما تنص نصوص أخرى على ذلك .

وكان يحيط بالملك الجديد عدا الوزراء عدد كبير من موظفي القصر الملكي يرأسهم رئيس الديوان الملكي (تي شنوت) وكبير الأمناء (اوحم ـ ما ـ ان ـ نيسوت) والأمين الأول (تي ـ اوحم ـ ان ـ نيسوت) والقضاة وقادة الجيش[1] .

وكان يسمح لكبار رجال الدولة بتقبيل يد الفرعون ، وأما الأمراء فكانوا ينحنون فقط احتراماً في حضرة مليكهم .

---

(١) تفاخر بأن مصر هي الدولة الاولى في التاريخ القديم التي وضعت أساليب الحرب التي يتبعها قواد الجيش الحديثين ، هذه الاساليب التي أهم ما فيها تقسيم الجيش الى فرق والى قلب وجناحين كما ان الجندي المصري استعمل النبال (المقلاع) بجانب معداته الحربية القديمة فكان لهذا التجديد في حروب الرعامسة أشبه شيء باختراع المدافع في العصر الحديث .

ما أسدته مصر القديمة
للعالم الحديث

ليس من ينكر ما كان للحضارة المصرية القديمة من أثر في نواحي العلوم ، والفنون والآداب والفلسفة ، منذ فجر التاريخ لأنه بالرغم من قيام حضارات مختلفة في العصور القديمة ، في أجزاء متعددة من أنحاء العالم فقد كان وادي النيل مهد الحضارة البشرية الأولى ، ومنه انتشرت الى بلاد الشرق والغرب على السواء ، لذلك تدين الحضارات الحديثة لقدماء المصريين بكثير من الأشياء .

فمن أهم ما أخذه العالم الحديث ، عن مصر القديمة . استعمال بعض عناصر الأبجدية في اللغات المختلفة ، لأن من أهم عناصر الحضارة الحديثة ، طريقة كتابة اللغات بالحروف الأبجدية . ومن الثابت تاريخيًا أن الفينيقيين اقتبسوا أصول التصوير عن الهيراطيقي ، واخترعوا لأبجديتهم إشارات خاصة ، للدلالة عليها ، واستعملوها لكتابة لغتهم ، وعنهم اقتبسها اليونان والرومان ، ومن ثمّ انتشرت في كثير من بقاع العالم الحديث ، فكانت هذه أول أبجدية ظهرت في العالم ، وبذلك تركت مصر أثراً ظاهراً في البلاد الأخرى .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل انّ مصر اخترعت الحبر (والورق البردي) فسهلت بهذين الاختراعين عملية تدوين آثار الانسان العقلية ، وثروته الذهنية وقدمت للعالم أجلّ أثر ، وأجل يد .

أما فيما يختص بالتقويم ، فقد كان قدماء المصريين أول المتحولين عن التقويم القمري ، الى التقويم الشمسي ، إذ تنبهوا عام ٤٢٤١ ق . م . الى أن السنة الشمسية تشتمل على ٣٦٥ يوماً . والتقويم المصري هـذا هو التقويم الذي حمله (يوليوس قيصر) من مصر ، حوالي عام ٤٨ ق . م. الى روما ، وهو التقويم الذي عدّله مجمع الكرادلة الذي عُقد برئاسة البابا

« جريجوار الثالث عشر » تعديلاً طفيفاً عام ١٥٨٢ م ، ثم صار تقويم العالم كله اليوم . ويعتبر هذا الاكتشاف الميقاتي واستعماله في شؤوننا العالمية ، خطوة كبيرة نحو الرقي والمدنية وفخراً عظيماً للوطن الذي اكتشفه ، كذلك قسم قدماء المصريين سنتهم الى إثني عشر شهراً ، وجزّءوا كلّ شهر الى ثلاثين يوماً ثم أضافوا آخر كل إثني عشر شهراً خمسة أيام كي تكمل السنة الشمسية ، (أو ستة أيام كلّ أربع سنوات كما حصل في عهد بطليموس الثالث) وابتكر المصريون أيضاً طريقة لقياس ساعات اليوم ، وهي المواول (الساعات الشمسية) للنهار ، والساعات المائية لليل . فقياس الزمن بالسنين والأشهر والأيام والساعات كما هو حاصل اليوم يرجع في حقيقته الى مصر القديمة .

* * *

أما في فن العمارة ، فقد برع قدماء المصريين منذ أقدم العصور فيه ، وتركوا أثراً ظاهراً في البلاد الأخرى ، فالمصريون هم أول من اخترعوا قوالب الطوب المستعملة حتى اليوم في البناء ، لا في مصر وحدها ، بل في كثير من البلاد الأجنبية . كذلك هم أول من استعملوا الحجارة في البناء ، وأول من وضعوا (الجبس) بين الحجر والآجر ، ففي الحفائر التي يقوم بالإنفاق عليها مولانا جلالة الملك فاروق الأول أدامه الله بجهة حلوان ، والتي يرجع تاريخها إلى الأسرة الأولى ، (حوالي سنة ٣٢٠٠ ق . م .) نجد استعمال (الجبس) بين احجار مقابر هذا العهد السحيق . ثم بدأت منذ عصر الاسرة الثالثة ، المباني العظيمة من الحجر ، كهرم (زوسر) ، والأعمدة المرتكزة على حوائط معبده . فاذا ما وصلنا الى الأسرة الرابعة ، وجدنا هرم (خوفو) المقام من كتل عظيمة من الأحجار على مساحة تبلغ الاثنى عشر فداناً ، وارتفاعه حوالي ١٤٠ متراً وهو أشهر عجائب العالم السبع ، ولا يزال ماثلاً للعيون ، ويزيد عمره على ٤٠٠٠ سنة ، ومع هذا فهو باق يشهد مجد مصر الخالدة . ولو علمنا أن تلك الكتل الحجرية الكبيرة ، التي استعملت في بناء هذا الهرم تبلغ نحو ٢٣٠٠٠٠٠ حجراً متوسط ثقل الحجر طنان ونصف طن ، لهالنا أن نتصور ما يتطلبه نقلها وحملها الى الارتفاعات المطلوبة من مقدرة في فن العمارة وغيره من العلوم ، كالهندسة ،

والحساب ، والرياضيات، مما تحكم بأن الاهرامات[1] ماهي إلا آية من آيات فن البناء، وما هي في الواقع إلا مدى الخطوات الواسعة التي خطاها فن المعمار والعلم في تلك العصور السحيقة. وهذا التطور في البناء من الطين الى الطوب ، الى الحجر ، إلى بناء الاهرامات ، كانت نتيجة حتمية لتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، والدينية في مصر القديمة. وقد راق هذا الفن في أعين أثرياء الرومان الذين بنوا مقابرهم على شكل هرم صغير حتى إلى عهد أغسطس قيصر روما .

ومن الأمثلة العديدة لتقدم فن المعمار في مصر القديمة معابد الدير البحري والكرنك وأبي سنبل ، ومقابر الملوك وغيرها مما يضيق المقام بذكره .

أما من حيث الزخرفة المعمارية ، فلسنا بالمغالين إذا قلنا ان العالم الحديث مدين في كثير من زخارفه المعمارية ، فالتزيين بالزهور لا سيما زهرة اللوتس المصرية ، والبردي والبشنين واستعمال سعف النخيل ورسم قرص الشمس ذي الأجنحة واقامة المسلات وتشييد الأعمدة لا سيما النوع المعروف بالدوري (دوريك Doric) ماهي الا زخارف مصرية ، اقتبسها الاغريق ، والفرس عن المصريين ثم انتقلت عنهم الى الاغريق والرومان ، وبعد ذلك نراها تنتشر مع تغيير طفيف في أنحاء العالم المتمدين .

ولم يكن حظ قدماء المصريين من الزراعة بأقل من حظهم في الشؤون الاخرى فهم أصحاب أقدم حضارة زراعية عرفها العالم الى اليوم ، لأن انسان العصر الحجري الحديث (نيوليتكم) ابتكر زراعة الأرض ونجح في استئناس الحيوان ، وإخضاعه لأغراضه ، بعد ان كان يعيش على الصيد في العصر الحجري القديم واستخدم الفأس ، والمحراث وغيرهما من الآلات التي ما زلنا نستعملها الى يومنا هذا .

أما أثر قوانين قدماء المصريين في التشريع الحديث، فالبحوث العلمية أثبتت أن أغلب القوانين الرومانية التي تعتبر أساساً للقوانين الحديثة ، ترجع الى قوانين قدماء المصريين .

---

(١) من الطريف ان الملك كان يبني الاهرامات في أيام فيضان النيل فقط وكان يقوم ببنائه المصريون وقد خصص الملك أيام الفيضان للبناء حتى يساعد الفلاح المصري الذي تغمر المياه أراضيه في ذلك الفصل من السنة على اكتساب قوته وايجاد عمل له وذلك خلافاً لما هو شائع من أن بناء الاهرامات سخرة للمصريين أو ان أسرى حاربوا به .

الطب عند قدماء المصريين

قلنا إن المصريين هم أول من خط بالقلم على الورق البردي لأنهم مخترعوه ولورق البردي أهمية خاصة فالفضل مثلاً في اظهار تاريخ الطب عند قدماء المصريين يرجع الى ما وجدناه مدوّناً على ورق البردي .

وقد وصل الينا كثير من مؤلفات قدماء المصريين في الطب ، وأقدم الكتب الطبية يرجع تاريخه الى الملك « تتا » ثاني ملك من ملوك الأسرة الأولى . وقد حكم حوالي سنة ٣١٧٠ ق.م (أي أوائل عصر الوحدة الأولى) . كما أن بعضها كتب في الجراحة على أساس علمي صحيح دل على أن الجراحين القدماء شخصوا كثيراً من الحالات تشخيصاً صحيحاً وعرفوا طريقة علاجها ، بل أنهم استعملوا أدوية لتخدير الأجزاء التي يراد قطعها وتشريحها. ومن أهم هذه المؤلفات التي تبحث في الجراحة بردية « أدون سميث التي تحوي ٢٢ صحيفة ، ويرجع تاريخها الى حوالي سنة ١٥٥٠ ق . م (أي أوائل عصر الوحدة الثالثة) . وتعتبر أقدم مرجع في العالم في فن التشريح والجراحة . ومن المحتمل أن تكون هذه البردية نسخت من مؤلفات سابقة لعصرها .

وتشتمل هذه البردية على الجروح التي تصيب الجسم ثم تشخيصها وعلاجها وتبتدىء بذكر جروح الرأس وتنتهي بالقدمين ، أي متوخية ترتيب الأعضاء من أعلى الى أسفل . ولعلّ الاتجاه الى هذا الترتيب هو الخطوة الأولى في مقدار معرفتهم بالطب ودقتهم فيه وتنظيمهم له . ويمكن اختصار أهم حالات الأمراض الواردة في هذه البردية بالطريقة الآتية :

أولاً : أمراض الرأس . ثانياً : أمراض الأنف . ثالثاً : أمراض الفك العلوي . رابعاً : أمراض الصدغ . خامساً : أمراض الأذن والفك السفلي . سادساً : أمراض الشفتين والذقن . سابعاً : أمراض الحلق والرقبة . ثامناً : أمراض الكتفين . تاسعاً : أمراض الصدر والثديين.

عاشراً : أمراض العمود الفقري ، (والبردية أتلفت هنا ثم ذكرت أمراض إصبع القدم) .
فيتضح من ذلك أن الطبيب المصري القديم راعى حسن الترتيب بطريقة علمية منظمة .

كذلك قسمت الجروح الى جروح نتيجة لمعارك أو عضّ ، وجروح من أثر حريق ، وجروح نتيجة ضرب . ثم ذكرت كسر العظام والضلوع ، وكسر الذراع وهكذا . وهذا مما يدل على مهارة الطبيب المصري القديم في تحرّيه الوقوف على سبب المرض أو سبب الجرح ثم علاجه ، أي وصف الداء ، ثم إعطاء الدواء كما يجري الآن في وقتنا هذا .

وكذلك وصلتنا أوراق بردية بها وَصفاتٌ لطرق علاج الأمراض المختلفة التي كانت سائدة في ذلك الوقت : مثل ما نسميه اليوم البلهارسيا (البول الدموي المصري) ، والحمّى القصيرة أو الطويلة ، وأمراض المعدة ، والديدان المعوية ، والقلب والكبد ، وباقي الأمراض الباطنية ، وأمراض النساء كالتهاب الثدي أو ارتخائه ، وتزييف الرحم وإيقاف النزيف والتهاب الرحم وغير ذلك .

ومن أمراض الأسنان مثلاً التهاب اللثّة أو تلف الأسنان أو تثبيتها . ومن أمراض الأذن فقد السمع أو ضعفه أو نزول الصديد من الأذن . ومن أمراض العيون غزارة دموع العين ، وضعف النظر ، وورم العين والتهابها أثناء الزكام ، والرمد الصديدي والحبيبي وغيرها .

وكذلك وصلت الينا الطرق التي تعالج بها حالات القيء كايقافه أو تلطيفه أو إحداثه عند اللزوم في بعض الحالات .

وكذلك عرفوا المسهّلات ، بل كان قدماء المصريين يعرفون أن الشرايين تبدأ من القلب وتأخذ منه الدم ثم تذهب إلى كل عضو ، أو بعبارة أخرى عرفوا أن القلب له علاقة بجميع الأوعية ومتصل بكل عضو ، بل زيادة على كل ذلك فقد عرفوا النبض .

وقد وصلت دقة المصريين القدماء في تلك العهود السحيقة إلى ما نحن نكافح من أجله في عصرنا الحاضر وهو الوقاية من الأمراض واستعملوا الحقن في إدخال السوائل في الجسم

وليس أدلّ على مقدرة المصريين القدماء في الطب وبراعتهم فيه من فن التحنيط وما استعمل فيه من آلات ، فوصل تحنيط جثث الفراعنة إلى أعلى درجة من الإتقان بدليل تلك المومياوات التي أُخرجت من مراقدها بعد مضيّ آلاف السنين وما زالت تحتفظ بشكلها

الآدمي كما كانت وقت الحياة . والسبب في اهتمامهم بالتحنيط هو أن من بين معتقداتهم الدينية أن الحياة لا تنتهي بالموت ، بل إن هناك حياة أخرى بعد الموت وهي البعث . ومن شدة اهتمام المصريين القدماء بعودة الروح لتزور جثتها أن القانون المصري القديم جعل الأعدام عقوبة من يسرق من مقبرة ويمسُّ المومياء . فلا غرابة في أن نجد لذلك عند المصريين رجالاً اختصوا بفن التحنيط وغالباً كانوا من طبقة الأطباء .

وأهم شيء في عملية التحنيط هو استخراج الأحشاء بواسطة شق جدران البطن بسكين حاد وتنظيفها ثم وضعها في صندوق يعرف بصندوق الأحشاء ثم استخراج المخ من منافذ الأنف بقضبان عقفاء من حديد فيجذبون منه ما يمكن إخراجه من الجمجمة ، وما بقي يستأصلونه بعقاقير يقذفونها في تجاويف الجمجمة ، ثم يعالج كل الجسم بالنترون ، ثم يغسل ويلف في لفائف من الكتان .

كذلك مما يدل على براعة المصريين القدماء في الطب تخصص أطبائهم في مختلف أمراض فروع الطب . فبعضهم كان يختص بأمراض النساء ، والبعض بأمراض الأسنان ، والبعض بأمراض العيون ، والبعض بالأمراض الباطنية ، والبعض يختص بأمراض الحيوان ، (وكانت الحيوانات والطيور المقدسة تحفظ لاعتقادهم بقداستها كالعجل آبيس وأبي قردان) .

وكان يطلق على الطبيب باللغة المصرية القديمة اسم سن (سيني) .

وكان للملك طبيب أو أكثر من طبيب خاص . ومن طريف ما يروى في هذا الصدد أن أحد وزراء الملك مرض مرة فأرسل له طبيبه الخاص مما يدل على مبلغ ما كان يكنّه الملك لوزيره من عطف ومودة .

وكان يتناقل مهنة الطب الابن عن الأب في أغلب العصور .

ودلت البحوث الطبية الحديثة على أن لقدماء المصريين فضل السبق على اليونان في عالم الطب . فقد كان اليونانيون يشيدون بذكر الأطباء المصريين ، ويتناقلون كتب طبهم ويحفظونها ليهتدوا بها . وعن اليونان أخذ الكثير من ممالك العالم الحديث .

الموسيقى

عند قدماء المصريين

المصري القديم مرح بطبعه يغني في المنزل وفي الشارع وفي الفرح وفي كل مناسبة من مناسبات الحياة . ونلاحظ حتى الآن أن الفلاح يغني في الحقل وكذلك الفلاحات عند ملئهن الجرار من النيل مما يدل على وراثة المصريين لحب الغناء .

وقد تفنن المصري منذ القدم في نوع هذه الأغاني ، فمنها ما يتصل بالعمل ومنها ما يتصل بالعبادة ومنها ما يتصل بالغرام . ومن الصنف الأخير نجد الأغنية الآتية :

« عند ما أقبّل الحبيبة وأفتح فمها لا أحتاج إلى خمر أشربها .

أذهب إلى فراشي وقد أعياني داء الغرام وعادني جيراني وبينهم حبيبتي التي زجرت الطبيب عند ما حاول علاجي لأنها أعلم بموطن دائي » .

وغير الغناء نجد الموسيقى . وقد أثبت المؤرخون أن أجدادنا استعملوا آلات الطرب المختلفة منذ أقدم العصور ، سواء أكانوا في منازلهم في الولائم والأفراح أم في المحال العامة في الأعياد والاحتفالات الدينية . ونحن نستطيع أن نفرق بين نوعين منها موسيقى منزلية وأخرى عامة ، ونحن نعني بالموسيقى المنزلية هذه الموسيقى التي تحتاج إلى الآلات التي كان من السهل العزف عليها لغير المحترفين ، كما نعني بالموسيقى العامة هذا النوع الذي يحتاج إلى مجموعة من الآلات التي لا بدّ منها لتكوين فرقة موسيقية كاملة وهذه الآلات الموسيقية كما عثر عليها في الآثار أو جاءتنا عن طريق الصور أو النصوص تدل دلالة واضحة على براعة قدماء المصريين في صنع هذه الآلات وإجادة العزف عليها . فنصوص الدولة القديمة وصورها تطلعنا على أن (مري-بتاح-رع) كان يرأس فرقة موسيقية تتكوّن من مغنٍّ ومن عازف على العود وآخر للربابة ونافخ في الناي . كما أن (حم رع) كان يرأس فرقة موسيقية تغني فيها امرأة .

أما إدارة الفرقة قديماً فكانت لا تختلف كثيراً عن إدارة الفرقة الموسيقية الأوروبية مع ملاحظة أن المدير كان يُرى جالساً أحياناً . ومن الجدير بالذكر أن هذه الاشارة التي كان يقوم بها الرئيس يعبر عنها في اللغة المصرية القديمة بفعل مخصص باليد لأن اليد هي العضو الهام في تأدية هذه الحركة .

وكانت الألحان في ذلك العصر من هذا النوع الهادىء الرقيق . وهذا الطابع الموسيقي كان ملحوظاً أيضاً في الموسيقى الراقصة التي كانت تتفق تمام الاتفاق وحركات الرقص وأوضاعه في ذلك الحين . وليس معنى هذا أنه كانت تستتبع وجود آلات موسيقية للرقص ، بل كثيراً ما كانت تكتفي باليدين . ونجد أحياناً بعض الراقصات يغنّين أثناء رقصهن .

أما أوضاع الجسم فكانت تتغير تغيّراً كثيراً حسب ما تتطلبه الرقصة المطلوبة فنرى أحياناً صورة امرأة وقد ألقت رأسها وصدرها الى الخلف ، أو قدمت إحدى ساقيها على الأخرى ، وهكذا من ضروب الرقص الكثيرة .

وكان المثل الأعلى في الموسيقى المنزلية هو ما يوجد في القصر الملكي إذ كانت تعزف فيه فِرَق كثيرة متنوعة تحت اشراف فنان عظيم .

ومثل الدولة القديمة مجد الدولة الوسطى ، بينما في الدولة الحديثة نرى الموسيقى وقد تطوّرت تطوّراً عظيماً ، فمن هدوء رقيق إلى صخب مقلق . ولعلّ ذلك يرجع إلى الأثر الآسيوي الذي دخل البلاد في ذلك العصر مع الهيكسوس . فمثلاً الآلات الموسيقية ذات الوتر الواحد تعددت أوتارها التي كانت تصنع من الليف المضفور ، وتنوعت أحجامها أيضاً وقد دخلت آلات موسيقية جديدة في ذلك العصر كالآلة الكنعانية المسماة (كنور) والقيثارة والرق والرباب الجانبي (مندولين) وحلّ المزمار المزدوج محلّ الطويل المنفرد كما شاع في ذلك الوقت بين الشعب الناقرون بالعصي والمصفقون بالصاجات .

وكما كانت الموسيقى حماسية قوية في ذلك العهد ، كذلك كان الرقص والغناء ، حتى إن بعض المغنيات المصريات كنّ يرحلن الى الأقطار المجاورة لنشر فن الرقص والغناء المصري في الأقطار الأخرى ، كما نعلم ذلك من قصة سياحة (ونآمون) .

وقد استمرّ الحال كذلك حتى العصر اليوناني الروماني ، وخاصة الآلة المصرية المعروفة

(سستروم) . بل نجد (فيثاغور) أبا الموسيقى عند اليونانيين يحضر إلى مصر ويتعلم الفنون الموسيقية كما حدثنا بذلك (ديوجينيس) ويتحدث هيرودوت أبو التاريخ كثيراً حديث الاعجاب عن الآلات الموسيقية المصرية كحديثه مثلاً عنها في عيد (أرتميس) في تل بسطا .

***

هذا عرض موجز للموسيقى المدنية عند قدماء المصريين وليس معنى هذا أنه كانت تنقصهم الموسيقى الحربية . فالنصوص والرسوم والآثار التي وصلت الينا كثيرة في هذا الصدد ، وهي تجمع على ان المصري منذ فجر التاريخ كان أول من نفخ في البوق في النداءات العسكرية وأول من دقّ على الطبل لتنظيم المشي في المناورات الحربية بخطوات عسكرية واحدة . وهم أول من ابتدأوا السير في الاستعراضات العسكرية بالرجل اليسرى مع أن الأمم الحديثة تعتقد أنها هي التي ابتكرته . مما تقدم نرى أن المصري القديم لم يحرم نفسه لذة الطرب والغناء والموسيقى والرقص

النسيج

عند قدماء المصريين

كفّل نهر النيل لهذا الوادي وسكانه كل أسباب قيام الحضارة واستقرارها فيه وفي قيام الصناعات التي ترتبت على وجود الزراعة كالنسيج لذلك كانت مصر منذ فجر التاريخ مشهورة بمنسوجاتها الكتانية ففي حفائر مرمدة (بني سلامه) عثر المنقبون على قطع من غزل الكتان فلا شك إذن في أن الغزل والنسيج كانا من أقدم الحرف في مصر .

ومن الطريف أن صور هذه الصناعات وجدت منقوشة في بعض المقابر . ففي مقابر بني حسن التي يرجع تاريخها إلى عهد الأسرة المعروفة في التاريخ بأنها الأسرة الثانية عشرة نرى رسوم الأدوار التي تمر على نبات الكتان من تعطين ودق وتمشيط وغزل ونسج . هذا إلى أنه كشف عن نماذج لنساء يشتغلن بالغزل والنسيج في مقابر الأسرة الحادية عشرة في طيبة .

كما وجدت في كثير من المقابر والمباني المدنية كالمنازل بقايا بعض الملابس والمنسوجات وأدوات النسيج .

وكانت الأقمشة الكتانية تصدر الى بلاد اليونان في العصور الفرعونية الأخيرة كما حدثنا بذلك هيرودوت وكما ذكر في سفر أشعيا .

وتلي صناعة الكتان في الأهمية صناعة الأصواف ويرجع تاريخ هذه الصناعة الى عصر فجر التاريخ فقد وجد الأستاذ زكي سعد في الحفائر التي يقوم بالإنفاق عليها حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول بجهة حلوان بعض الآثار المصنوعة من الصوف .

واستمرت في العصر القبطي مزاولة صناعة الغزل والنسيج في المنازل الى جانب المصانع وكانت هناك ضرائب تفرض على الناسجين كضريبة الترخيص بمزاولة صناعة نسيج الكتان .

ومن الطريف أن نلاحظ أن زخارف المنسوجات الملونة كانت منقوشة بطريقة التابستري Tapestry أي بتقاطع خيوط اللُّحْمة بخيوط السَّداة حتى اذ وصل النساج الى النقطة التي يريد زخرفتها أوقف عملية الحشو بخيوط اللحمة وأخذ في عمل الزخرفة بخيوط جديدة تختلف في لونها عن خيوط اللحمة الأصلية . وقد تختلف عنها في نوعها وذلك بنسج هذه الخيوط الجديدة مع خيوط السداة الأصلية ، وبعد الفراغ من عمل الزخرفة تنظم خيوط السداة كما كانت من قبل ثم تستأنف عملية النسج التي كانت تزاول قبل الزخرفة — وكان للمصريين قدرة فائقة في استعمال الألوان .

وهذه الطريقة طريقة التابستري هي التي حذقها أجدادنا الفراعنة وبلغوا فيها شأواً عظيماً وقد ورثها عنهم أحفادهم الأقباط وحافظوا عليها طوال العصور .

ولقد كان لجوّ مصر الفضل في الابقاء على الكثير من المنسوجات وعلى الاحتفاظ بألوان زخرفتها الزاهرة كما نشاهد في آثار الملك توت عنخ آمون وفي قسم المنسوجات والأقمشة بالمتحف القبطي .

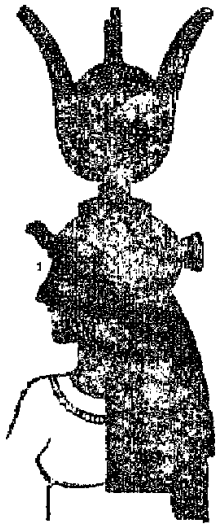

مركز المرأة
في مصر القديمة

مقام المرأة من الوجهة الاجتماعية

تعدد الزوجات أمرٌ لم يكن معروفاً عند قدماء المصريين الاّ انه كان للرجل الموسر الحق في أن يضم اليه كثيرات من المغنيات والجواري كما انه كان للملك الحق في أن يتخذ الى جانب زوجته الشرعية (الملكة) زوجات أخريات لا حقّ لهنّ في وراثة العرش .

وكانت الزوجة تعرف باللغة المصرية القديمة بما معناه « زوجته المحبوبة وربة الدار » . فكانت هي التي تشرف على إدارة المنزل وتربية الأطفال بجانب اهتمامها بزوجها .

وبجانب هذا الشأن الذي لها في حياة الأسرة وكيانها فقد كانت ذات شأن في الحياة العامة كما سنرى ذلك فيما بعد .

ولم يكن اهتمامها بالمنزل وبأسرتها عائقاً لها عن التزين والتأنق فكانت تخضب أنامل يديها وأصابع قدميها وتكحل عينيها وتلوّن شفتيها باللون الأحمر كما تفعل المرأة الحديثة في أيامنا ، ولكن بطريقة تختلف عن الطريقة المصرية لأنها كانت تستعمل الفرشاة عند التلوين وتضع على وجهها مختلف المساحيق التي تظهرها بالمظهر الفتان . وكانت تجعد شعرها بحسب العادة الجارية في عصرها ، وتزين صدرها وعنقها ويديها بالحلى والجواهر .

والأدب المصري زاخر بالعبارات التي تبين حب الابن لأمه والابنة لأمها وزاخر أيضاً بالعبارات التي تبين علاقة الرجل بامرأته فكان يقبلها ويداعبها ويعانقها ويعاملها بالحسنى ولا يهجرها ، وكذلك يتيح لنا هذا الأدب معرفة الكثير عن خواطر المرأة والرجل وما بينهما من صلات الصداقة والحب

وعلى سبيل المثال أورد القصة الآتية وهي مكتوبة على ورقة بردية محفوظة بمتحف ليدن

وهي أن رجلاً مرض بعد وفاة زوجته فاستشار أحد السحرة في ذلك فأخبره أن يكتب خطاباً الى روح زوجته فكتب إليها خطاباً وذهب به الى مقبرتها في أحد الأعياد وقرأه بصوت عالٍ ثم ربطهُ بتمثالها حتى يصل إليها وقد جاء فيه : « أي ذنب جنيته نحوكِ أيتها الحبيبة حتى أقع فيما أنا فيه من بؤس وشقاء ؟ أي ذنب جنيته أينها الحبيبة حتى تساعدي أرواح الشر ضدي ؟ وماذا فعلت معكِ منذ زفافنا الى اليوم ؟ تزوجتكِ وكنت رجلاً يشغل منصباً صغيراً وتدرّجت بعد ذلك من منصب الى منصب وما جال بخاطري يوماً أن أهجرك وما فكرت أبداً في أن أجلب الحزن الى قلبكِ . ذلك كان شعوري يوم كنت صغيراً وما تحوّلتُ عنه لما صرتُ كبيراً في خدمة فرعون . فلم أهجركِ بل حافظتُ عليك في السرّاء والضرّاء . . . وعندما مرضتِ ألم أحضر لكِ كبير الأطباء فبذل كل شيء في سبيل شفائك . إني لا أعلم يوماً قصرت فيه في واجبي نحوك » .

وقد كان للمرأة المصرية القديمة حظٌّ موفور من الثقافة مما يسترعي النظر . فالسيدات المصريات كنّ مولعات بالعلوم والفنون . يحدثنا موظف يدعى « خنوم ردى » بأنه كان أميناً لمكتبة سيدة عظيمة القدر تدعى « نفروكاييث » ثم يقول ما ترجمته : « هذه السيدة عيّنتني في دندرة مشرفاً على خزائن الكتب الخاصة بأم تلك السيدة التي كانت مولعة بالعلوم والفنون » ونجد بعد ذلك أن هذا الموظف ابتدأ يصف ما قام به من أعمال عظيمة في اثناء إدارته لتلك المكتبة فيقول : —

« قد زدتُ في عدد مجاميع الكتب الموجودة بها وجلبت لها كثيراً من المؤلفات الثمينة حتى أنها لم تعد في حاجة الى توسيع أكثر من ذلك على ما أعلم ورتبت هذه المكتبة ترتيباً حسناً لم يحدث مثله من قبل . وقد ربطت ما كان مفككاً (يعني أنه ربط لفات البردي المحلولة) .

وأما من الوجهة المدنية فقد كان للمرأة كامل حقوقها في التصرف في أموالها والتصرف في عقارها دون الرجوع الى زوجها أو ابنها أو فرد آخر من عائلتها . وقد حدث أن تصرفت أم « الموظف امتن » بكامل حريتها في ملكها بالوصية والهبة .

مقام المرأة

من الوجهة السياسية

كان نظام الحكم المصري يبيح للمرأة حقّ تولي عرش مصر فلم تقعدها الأنوثة عن ركوب الصعاب فشاركت الرجل في هذا الجهاد ، وتاريخ مصر القديم حافل بعدد وافر من شهيرات النساء اللواتي جلسن على عرش مصر . ففي الدولة القديمة نجد الملكة نيتوكريس (خنت كاوس ؟) وفي الوسطى « سبك نفرورع » وفي الحديثة الملكة حاتشبسوت وفي عهد البطالمة الملكة كليوباترة الأخيرة (أعني كليوباترة آخر من تولى عرش البطالمة . وقد أخفقت في سياستها وبعد وفاتها سنة ٣٠ ق . م دخلت مصر تحت حكم أغسطس قيصر روما) . وسأقصر الكلام على الملكة حاتشبسوت التي تعدُّ من أعظم الملكات اللواتي عرفهنّ التاريخ القديم وهي التي حكمت مصر من سنة ١٤٩٣ ق . م الى سنة ١٤٧٩ ق . م وتركت لنا آثاراً كثيرة كما انه وصل الينا شيء كثير عن أخبار بعض موظفي هذه الملكة .

ويمتاز عهدها بأنه كان عهد سلام ووئام مع الممالك المجاورة لمصر فلذلك تمكنت من أن توجه جهودها الى أعمال السلام بالرغم من المنازعات الداخلية التي نشأت بسبب التنازع العائلي على العرش وبسبب زيادة نفوذ كبار كهنة آمون . وقد ساعدها على تنفيذ الأعمال السلمية حروب والدها تحتمس الأول ، وكذلك المعارك التي خاض غمارها أخوها وزوجها الأول تحتمس الثاني وهي المعارك التي ثبتت أركان الامبراطورية . هذا من جهة . ومن جهة أخرى صغر سن تحتمس الثالث ابن زوجها الأول تحتمس الثاني من زوجة ثانية . فقد ساعدتها كل هذه الظروف على ان تكون على جانب عظيم من القوة والدهاء .

وقد استغلت هذه الملكة مناجم شبه جزيرة سيناء سواء في سربوت الخادم أو في وادي المغارة ، فأرسلت هناك البعثات تلو البعثات للحصول على مسحوق معدن النحاس والمواد الأولية اللازمة لعمل الزجاج .

وقد وجدنا كثيراً من الزجاج في هذه الجهة عليه اسم هذه الملكة وطبيعي ان صناعته استلزمت وقوداً كثيرة مما يدل على استعمال الكثير من الخشب ويجعلنا نرجح غناء هذا الاقليم بالاشجار ولم يكن صحراء جرداء كما هو مشاهد الآن .

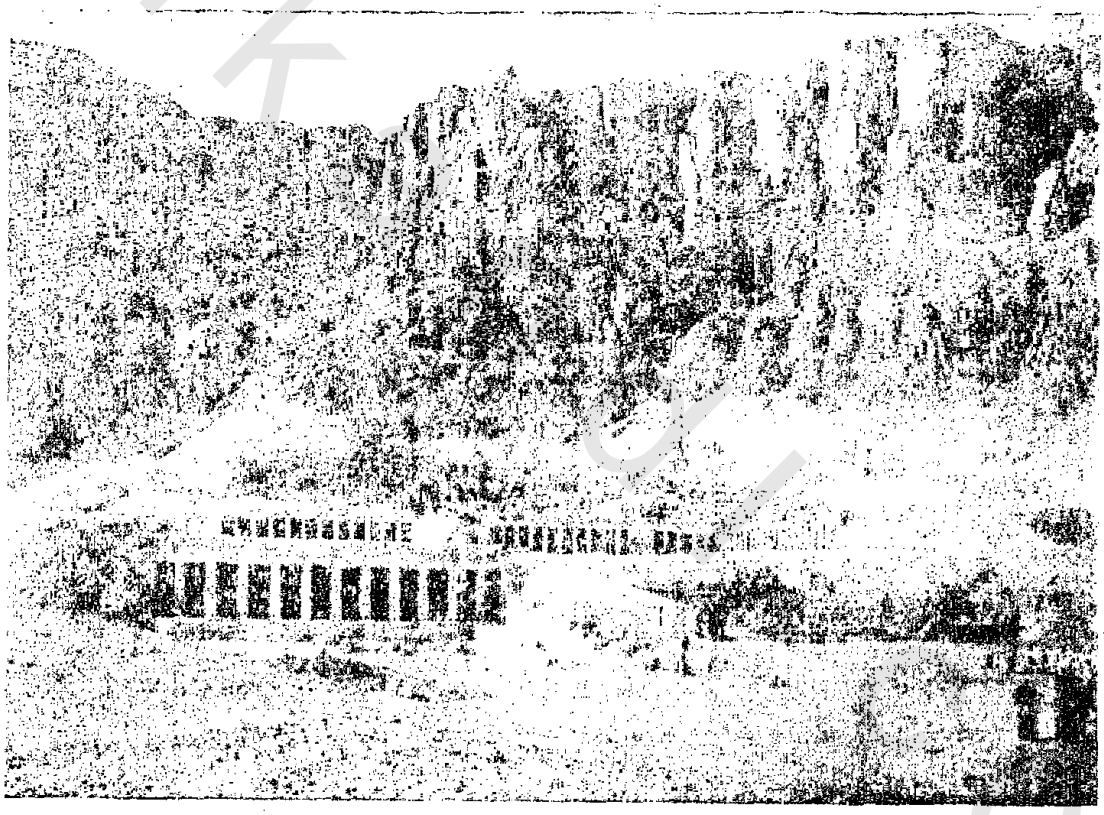

« معبد الدير البحري الذي أقامته الملكة حاتشبسوت بطيبة الغربية »

واهتمت الملكة حاتشبسوت كذلك بالمعابد فأكثرت من تشييدها . ولعلّ أهم ما شيدته معبدها المعروف « بمعبد الدير البحري » وقد سمي بهذا الاسم حتى لا يختلط علينا في العصر القبطي مع دير آخر بُني في الجهة القبلية وأقصد به « دير المدينة » . ويتكوّن معبد الدير البحري من ثلاث شرفات مدرّجة ، الشرفة العليا تنتهي بصف من الحجرات . وقد بني هذا

المعبد حوالي السنة الثامنة من حكم الملكة حاتشبسوت . ومن حسن الحظ أن خلد اسم المهندس الذي شيّده وهو « سن إن موت »

أما الذي كلف الإشراف على صنع أبوابه من البرنز المطعم بخليط من الذهب والفضة فهو أحد رؤساء المالية الذي يدعى « تحوتي »

* * *

ومن المناظر والنصوص التي بقيت لنا من هذا المعبد وهي ذات قيمة تاريخية فيما يخص عصر هذه الملكة ، تلك التي توضح لنا طريقة ولادة الملكة حاتشبسوت بناءً على وحي آمون من الإله آمون (إله الدولة في ذلك الحين) وما يثبت حق الملكة الشرعي في الاستيلاء على عرش مصر

وقد أرسلت الملكة حاتشبسوت بعثة تجارية الى بلاد بنت (الصومال) فقد بعثت في السنة التاسعة لحكمها اسطولاً مكوّناً من خمسين سفينة أقلع من المياه المصرية قاصداً الصومال متبعاً نهر النيل شمالاً حتى وصل شرقي الدلتا ، ومن شرقي الدلتا عبر هذا الأسطول قناة وادي طميلات (قرب اقليم السويس) الى البحر الأحمر

وبعد وصول الأسطول سالماً الى بلاد بنت عاد الى مصر محملاً بخيرات بلاد الصومال فاستقبلت الملكة حاتشبسوت قائده ورجاله في الكرنك بطيبة وقدمت للمعبود آمون بعض واردات الصومال .

ومن أهم ما شيدته الملكة أيضاً من الآثار ما أضافته الى معبد آمون بالكرنك واقامتها مسلتين عظيمتين فيه .

وقد بلغت ثروة المملكة المصرية في ذلك الحين درجة من الرخاء عظيمة وكانت جزية المستعمرات تصل الى مصر بانتظام . بل من ظريف ما قالته هي عن عصرها « إنها تكيل المعادن النفيسة كالحبوب أي بالمكاييل الكبيرة »

لقد ساهمت المرأة تقريباً في كل ناحية من نواحي الحياة في مصر القديمة فكان فيها ملكات ، وكذلك كاهنات في المعابد ، وطبيبات وكاتبات وموظفات وربات دور ومغنيات .